وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

مركزية هدايات القرآن في البناء القيمي للمشترك الإنساني

(الأسس المنهجية والأبعاد المقاصدية)

اسم الباحث/ـة

د/ أحلام بلعطار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد أدى التطور الحضاري الذي أحرزه الإنسان في مجالات تكنولوجيا الاتصال إلى دخول الإنسانية عصراً جديداً، إذ شهد تغيرات جذرية في كل جوانب الحياة، وأهمها التطور الهائل في وسائل الاتصال والمعلومات التي تعتبر من أهم العوامل المؤثرة في سرعة التبادل الثقافي، وإزالة صدع الحواجز بين المجتمعات.

ورغم محاولات فرض نموذج ثقافي واحد على العالم، إلا أن الوعي الإنساني المتنامي دفع نحو طرح القضايا الإنسانية المشتركة بعيدًا عن الهيمنة والإقصاء.

بيد أن تهديد الصراعات الفكرية والحضارية المعاصرة لاستقرار المجتمع الإنساني، يستدعي البحث عن لغة مشتركة وقيم إنسانية جامعة، تقوم على التسامح والحوار وقبول الآخر.

ويُعد البحث في البناء القيمي للمشترك الإنساني، بحث في المبادئ والقيم الإنسانية المشتركة بين الناس، على اختلاف انتماءاتهم الحضارية والمذهبية والثقافية والدينية، من أجل بناء أسس للتواصل بين مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية، وفتح مدخل واسع للتعاون في القضايا المشتركة، وتدبير هوامش وحدّة الاختلاف، ويحتل القرآن الكريم كمنبع للتشريع الإسلامي والهداية الربانية موقعاً مركزياً ومحورياً في تشكيل تلك القيم الإنسانية الأساسية التي تشترك فيها البشرية جمعاء من خلال تفعيل الأسس والمرتكزات المنهجية في تشكيل القيم المشتركة، وأبعادها المقاصدية.

ويكتسب هذا البحث أهمية علمية من خلال إثرائه للدراسات المتعلقة بالمنظومة القيمية في القرآن الكريم، إذ يسلط الضوء على المكانة المحورية للوحي الرباني في بناء قاعدة القيم الأخلاقية ذات الطابع العالمي التي تشترك فيها

البشرية، مما يوفر إطاراً نظرياً ومرجعية علمية تسهم في إثراء الدراسات المعرفية المعنية بالجانب القيمي والتشريعي .

وفي هذا السياق تكمن إشكالية هذه الورقة البحثية في محاولة كشف الأسس والمرتكزات القيمية التي وضعها القرآن الكريم لبناء نظام قيمي إنساني مشترك، يستجيب للحاجات الأساسية والمصالح الكلية للمجتمعات البشرية، ويرسي قواعد العدل والأمن والاستقرار في المجتمع، والبحث في المنهجية القرآنية وأبعادها المقاصدية في غرس هذه القيم وترسيخها، بهدف تفعيل هدايات القرآن لبناء نسق قيمي إنساني مشترك.

وقد اعتمدت الورقة المنهج الاستقرائي من خلال استقراء آيات القرآن الكريم ذات البعد القيمي والأخلاقي، والمنهج التحليلي بهدف تحليل مضامين تلك الآيات واستنباط المقاصد منها. كما سيتم اعتماد المنهج الاستنباطي لاستخلاص القواعد والتعاليم الأخلاقية والقيمية من النصوص القرآنية،

وتحديد أبرز المشتركات القيمية والمبادئ الأخلاقية العامة التي تشكّل قواسم مشتركة بين البشرية.

وأخيراً سيتمّ ربط تلك المشتركات بواقع الحياة المعاصرة لتفعيلها كآليات عملية لترسيخ قيم التعايش والأخوة الإنسانية في المجتمعات المعاصرة.

وتناولت الموضوع وفق الخطة الآتية:

مقدمة:

١. مركزية هدايات القرآن في البناء القيمي الإنساني

٢. أسس منهجية هدايات القرآن في بناء المشترك الإنساني

٣. الأبعاد المقاصدية في بناء القيم الإنسانية المشتركة

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

١. محورية هدايات القرآن في البناء القيمي الإنساني:

يُعدّ موضوع القيم من الموضوعات المحورية التي تشكّل جوهر الوجود الإنساني، فالقيم هي التي توجه سلوك الإنسان وتضبط تصرفاته، كما أنها الأساس في بناء المجتمعات الإنسانية وتماسكها. وقد جاء القرآن الكريم ليرسي أسس البناء القيمي والأخلاقي للإنسانية، من خلال ما اشتمل عليه من تعاليم وتوجيهات هادفة إلى بناء شخصية الإنسان وتزكية نفسه.

وتأتي أهمية هذا البحث كونه يتناول الدور المحوري الذي يضطلع به القرآن الكريم في وضع أسس المشترك الإنساني من خلال تأصيل نظام القيم الذي ينظم حياة البشر وعلاقاتهم، ويجعل من المجتمع الإنساني مجتمعًا مترابطًا متكاتفًا. وسيركز هذا المبحث على دراسة هدايات القرآن الكريم ومنظومة القيم الإنسانية التي جاء بها، وأثر ذلك في بناء مشترك إنساني قائم على التسامح والتعاون ونبذ التعصب.

١,١. الإنسان والقيم:

تُعدّ القيم الإنسانية جوهرًا هامًا لبناء الإنسان والمجتمع، فهي بمثابة مجموعة من المبادئ والمعايير التي تُنظم سلوك الإنسان وتوجهاته في الحياة، وتشكّل أساسا أخلاقيا للعلاقات بين الناس. تتميز هذه القيم بخصائص جوهرية، فهي إيجابية تساهم في بناء الإنسان والمجتمع، وعالمية مشتركة بين جميع البشر، ودائمة تُحافظ على ثباتها عبر الزمن.[١]

ومن أهمّ القيم الإنسانية التي تشكل أساسا لبناء الإنسان والمجتمع: قيمة التوحيد، قيمة العدل، قيمة الإحسان...وغيرها

[١] علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م، ص ١٣٢

يؤدّي الالتزام بالقيم الإنسانية إلى نتائج إيجابية على حياة الإنسان، فهي تساهم في بناء شخصية الإنسان المؤمن، وتنظيم العلاقات بين الناس وتعزيز التعاون والتراحم، ومحاربة الرذائل وتعزيز السلوك القويم، وبناء مجتمعات متماسكة تؤسّس على قواعد العدل والمساواة.[١]

وتستمدّ القيم الإنسانية مصادرها من: القرآن الكريم الذي يعدّ المصدر الأساسي للقيم الإنسانية في الإسلام، والسنة النبوية التي توضّح معاني هذه القيم وتقدم أمثلة تطبيقية لها، والفطرة الإنسانية التي تشير إلى بعض القيم الإنسانية الأساسية مثل حب الخير وكراهية الشر.[٢]

وعلى هذا الأساس نجد أن علم القيم في الثقافة الإسلامية، يعني تلك الفضائل والآداب المستخرجة من أخلاقيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وتراث الأمة الإسلامية، والتي عبر عنها الدارسون المسلمون بمصطلحات مختلفة ومتنوعة، تارة باسم المبادئ أو الأسس، وتارة باسم المقومات أو الثوابت، وأخرى باسم الإسلام أو العقيدة ....[٣] .

وإن كان مصطلح الفضيلة والآداب العامة هو المصطلح المشهور الذي استخدمه الدارسون للدلالة على موضوع القيم.

ويمكن تعزيز القيم الإنسانية من خلال التنشئة الاجتماعية التي يلعب فيها الوالدان والمعلمون دورًا هامًا في غرس هذه القيم في نفوس الأطفال، والتربية الدينية التي تُساهم في تعزيز القيم الإنسانية وتعريف الإنسان بواجباته تجاه الله

---

(١) المجتمع الإسلامي، منطلقاته وأهدافه، محمد تقي المدرسي، دار الحبل، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ٦٦.

(٢) مدونة القيم في القرآن والسنة، محمد بالبشير الحسني، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٤

(٣) القيم الإسلامية والتربية على خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨، ص١٠

تعالى وتجاه نفسه ومجتمعه، والممارسات المجتمعية مثل التطوّع ومساعدة المحتاجين التي تُساهم في نشر القيم الإنسانية بين أفراد المجتمع.

وبناء عليه، فإن القيم الإنسانية تشكل أساسًا هامًا لبناء الإنسان والمجتمع، والالتزام بها يُساهم في تحقيق السعادة والرفاهية للجميع.

وقد شكل التمازج بين الإنسان وقيمه على مر التاريخ حالة من الصيرورة التكاملية في حفظ كل منهما للآخر، الإنسان يحافظ على القيم والقيم تحافظ على الإنسان لذلك فإن قيم الكرامة في الكائن الإنساني جاءت واضحة في كتاب الله العظيم حيث قال تعالى: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧ ﴾ (الإسراء: ٠٧)

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ ﴾ (غافر: ٦٤)،

وتلك القيم تبرز المكانة الرفيعة للإنسان عند الله، كما جعل الله في طبيعة الإنسان قيماً فطرية يتوق إليها تلقائياً كالشعور بالكرامة والحرية والحق والرغبة.[١] .

ثم إن القيم في المقابل تضبط حركة الإنسان وسلوكه، وتعمل على تنظيم العلاقة مع الآخر، بكل ما يميزه من تعدد وتنوع وبكل ألوانه وأطيافه البشرية وتوجهاته الحضارية، كما تحدد كذلك الموقف التفاعلي بين الإنسان وعالم الأشياء التي تحيط به في سعيه العمراني وعلاقاته الكونية.[٢]

---

(١) مدونة القيم في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) الاسلام وبناء المجتمع السلامي، لحسن عبد الغني أبو غدة وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ٢٠٠٥م، ص١٤.

٢,١. هدايات القرآن ومنظومة القيم الإنسانية:

يكتسي موضوع تشكيل القيم الإنسانية أهمية بالغة، لعلاقته الوثيقة بتنظيم المجتمعات، وتحديد مناهجها في التعاملات المختلفة، وتعرف على أنها مجموعة من القواعد تقوم عليها الفطرة الإنسانية وهي أن الإنسان هو محور الحياة في هذا الكون بعض النظر عن أي فروقات بين الأفراد سواء كانت دينية أو عرقية أو جغرافية .

تُعد القيم الإنسانية من أهم خرائط الطريق لتجسيد الفعل الحضاري وتحقيق الخلافة والعمران، حيث تسعى جميع الحضارات والشعوب إلى تحقيقها وترسيخها، سواء كان ذلك مع الذات أو مع الآخر، وتعبر هذه القيم عن عالمية الخطاب الرباني الذي يتغيا تفعيل قيم الرحمة والعدل والمساواة والسلم والتعايش، والتي تسهم أساساً في رقي الشعوب والأمم، كما تشمل هذه القيم أيضًا الرؤية الأخلاقية القرآنية الداعية إلى تعميق علاقات التواصل والانفتاح مع الآخر، وتجنب الأخلاق الدنيئة المليئة بالعنف والتطرف، مع مراعاة حقوق الآخر في هذا الكون. وهذا ما يجعل المنظومة الأخلاقية القرآنية منظومة متكاملة ومتناسقة يمكن تبنيها كجسر للتواصل والانفتاح مع الآخر.

وتحتل الهدايات القرآنية مكانة مركزية في البناء القيمي الإنساني، حيث تعتبر المصدر الرئيسي للتوجيه الأخلاقي والروحي للفرد والمجتمع، وتوفر إطاراً قيميا لحياته وتفاعلاته مع الآخرين، من خلال شمولية تعاليمه ودعوته إلى التفكير النقدي والتأمل في معاني الحياة والوجود الكوني؛ مما يسهم في تشكيل شخصية الإنسان وتعزيز قدرته على التعايش السلمي وبناء مجتمع مترابط. وهذا ما أقره محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره من أن "الإخلال بقواعد

القرآن والتعدي على حدوده في تنظيم المجتمعات البشرية يؤدي إلى العود على القيم الإنسانية بالإبطال والتخريب".[١]

وتستند القيم الإنسانية من منظور الهدايات القرآنية إلى معالم شرعية واضحة منضبطة الحدود لا غموض فيها ولا تعارض ولا تناقض، تراعي مصلحة الإنسان ومنفعته وصلاحه وكينونته البشرية ومسئوليته الأخلاقية، وتنبذ الفوضى والتعدي والتعالي والظلم والفساد، وهو ما يميزها عن غيرها من القيم ذات الوضعية البشرية.[٢]

وتبرز العلاقة بين الإنسان والقيم في كون الإنسان كائنا أخلاقيا، والقيم في الوقت عينه مكون إنساني يؤثر كل منهما على الآخر ويؤثران بشكل مباشر في واقع الحياة الإنسانية والحضارية سلباً وإيجاباً. كما أن القيم الإنسانية والحضارية هي نتيجة تفاعل متبادل بين مكوناتها: الإنسان والقيم والحضارة وهي معايير ومحكات تضبط سلوك الإنسان وفعله الحضاري. وإن الهدايات القرآنية قد ضمنت كافة المنظومة القيمية اللازمة لحفظ كرامة وصيانة حقوق الإنسان.

وتسعى الهدايات القرآنية إلى تفعيل القيم الإنسانية بالتقريب بين الأمم والشعوب عن طريق ترسيخ الاحترام المتبادل، والتفاهم وقبول الآخر، ونبذ الصراعات القائمة على أساس التمييز بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو المعتقد الديني، وتسعى إلى الحد من الاختلافات بتحقيق وبث الاستقرار والتوازن في الحياة الاجتماعية، وترسيخ قيم التواصل والتفاعل المثمر مع الآخر؛ مما بسهم في توجيه سلوك الفرد والمجتمع نحو الأخلاقية والرشد.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م، ٢٣/٣

(٢) القيم بين الإسلام والغرب، مانع بن محمد المانع، دار الفضيلة، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ)، ص٢١.

٣,١ التأسيس القيمي للمشترك الإنساني:

يقصد بالمشترك الإنساني القيم الإنسانية الموجودة في جوهر كل الأديان والحضارات والمدارس الفكرية، وتلبي حاجيات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان، فهي قيم ومبادئ عابرة للخصوصيات الثقافية للأمم، تلبي الحاجات الأساسية للإنسانية. كإقامة العدل وإنصاف المظلوم وبغض الظلم، وكتحقيق الحرية وكرامة الإنسان، والحفاظ على النفس الإنسانية وتأمين حاجاتها المختلفة، إلى غيرها من القيم المشتركة الأخرى التي لا تختص بها أمة ولا حضارة ولا دين ولا ملة.(١)

وقد أشارت الهدايات القرآنية إلى دور القيم الأخلاقية في بناء المشتركات الإنسانية، حيث تذكر عدة قيم تتفق عليها جميع الشرائع السماوية، على الرغم من اختلافها في الزمان والمكان والرسل والأنبياء.، قال الله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (البقرة: ٨٣). وقال أيضا :﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (الأعلى: ١٤-١٩).

فالإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين، وقول الكلمة الطيبة،

(١) المشترك الإنساني في الرؤية القرآنية، لمقدم أحمد آيت، أعمال الندوة العلمية الدولية القرآن الكريم ورؤية العالم – مسارات التفكير والتدبير، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط١، ٢٠١٤م، ص ٣٤٧-٣٨٨. وانظر: المشترك الإنساني تشريع الهي، ربيعة سحنون، مجلة إيقاظ مجلد١، عدد ١ أبريل، ٢٠٢٠م، ص ٩٦. والمشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين، بدران بن لحسن، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج١٣، عدد١، جوان ٢٠٢٢م، ص٣٢٢.

وتزكية الأنفس هي جميعها مشتركات أخلاقية بين جميع أتباع الشرائع السماوية، ولأن " الكتب المنزلة متعددة مختلفة باعتبارات، ومتحدة مشتركة باعتبارات أخرى، تتفق في أمور وتختلف في أمور. وما دام موضوعها هو: الإنسان، في جوهره وطبيعته، في خصائصه ونقائصه، وفي صفاته ومقوماته، في ميوله واحتياجاته الأساسية، في هذه الأمور كلها: الإنسان هو الإنسان، من آدم إلى آخر ولد آدم. ما دام الأمر كذلك، فلا بد أن تكون هناك أشياء كثيرة يشترك فيها الناس، على الأقل في أصولها وجملتها".(١)

وقد أولت الهدايات القرآنية عناية فائقة واهتماماً بالغاً بتحقيق التواصل الحضاري بين الشعوب والأمم على اختلاف انتماءاتهم الحضارية والمذهبية والثقافية والدينية، وبناء القيم الإنسانية المشتركة التي تعزز من التعاون والتفاعل بينهم، والتأسيس للكليات الجامعة التي يتحقق بها النفع العام للمجتمع الإنساني كله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ .(الحجرات:١٣)

وقال الله تعالى﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ (الممتحنة: ٨)،

فالأصل في العلاقات الإنسانية، على وفق القواعد التي يقررها القرآن الكريم: التفاعل لا التقاتل، والتعاون ولا التصادم، والود والسماحة والبر، لا العدوان والبغي والقهر.(٢) وفضلاً عن هذا الاهتمام الذي عني به القرآن الكريم في التأسيس لطبيعة العلاقة مع الآخر، فإن الناظر في العطاء العلمي

(١) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، أحمد الريسوني، ط١، دار الأمة، القاهرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٤٥-٤٦.

(٢) المنهج القرآني في بناء المشترك الانساني، محماد بن محمد رفيع، مجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة عشرة، العدد٦٦، خريف١٤٣٢/ ٢٠١١م، ص١٣٠

الذي قدمه علماء الأمة يجد تقريرهم لجملة من الأصول والقواعد التي يمكن أن يبنى عليها ويتفرع عنها جملة من القيم المشتركة التي تصلح أن تكون قواسم كلية وأصولا عامة للعمل الإنساني المشترك الملبي لحاجات الإنسان الفطرية.

ونجد أن من أعظم هذه القيم التي تؤسس للمشترك الإنساني الجامع ما قرره الأصوليون في بيانهم لمراتب المقاصد الشرعية الثلاث؛

الضروريات والحاجيات والتحسينيات؛ حيث إن هذه المصالح الكبرى يمكن أن تشكل مرتكزات وقواعد كلية لبناء القيم والمصالح الإنسانية المشتركة التي يلتقي عليها الجميع، بقطع النظر عن انتماءاتهم وهوياتهم وأعراقهم وأجناسهم ومعتقداتهم.(١)

وقد أكد العلماء على المكانة الأساسية والمحورية للضروريات الخمس، وأنها محفوظة في جميع الشرائع المنزلة؛ أي أنها من قبيل المشترك الإنساني الجامع، كما نص عليه عدد من الأصوليين والفقهاء.

وتمثل كل من هذه الضروريات مصلحة كلية(٢)

يمكن أن تكون ركيزة أساسية في البناء القيمي الإنساني المشترك، ومدخلا لعناية الخطاب الإسلامي المعاصر بما لا يحصى من الوسائل والأساليب التي تحقق المشترك الإنساني والتواصل الحضاري بين الشعوب.

وعليه فإن العديد من المناشط والقيم الإنسانية المشتركة يمكن أن يتم استيعابها من خلال الخطاب الإسلامي الجامع الذي يستند إلى مقاصد الشريعة الإسلامية في التأسيس لإقامة جسور التواصل مع المجتمعات الإنسانية وتحقيق التكافل والتعاون الإنساني بين الشعوب.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م، ٤/١٤٤.

(٢) نفس المصدر، ٢/ ١٧.

٢. أسس منهجية هدايات القرآن في بناء المشترك الإنساني:

ومن أبرز المبادئ والمرتكزات المنهجية التي يقوم عليها المشروع القرآني في بناء الوحدة الإنسانية: الأساس التوحيدي

القائم على وحدة الخالق ووحدة المصدر، ووحدة أصل الإنسانية واشتراكها في الفطرة، بالإضافة إلى مبدأ الوسطية والاعتدال، ومبدأ الانفتاح والشمولية، والحوار التواصلي، فضلاً عن المبدأ العالمي الداعي إلى رسالة عالمية تجمع البشرية كلها.

وسيتناول هذا المبحث تلك الأسس بالتحليل والدراسة، لبيان منهجية هدايات القرآن الحكيم في بناء مشروع الوحدة الإنسانية القائم على التعايش والتآزر.

١,٢. الأساس العقدي التوحيدي:

تعد الهدايات القرآنية وحيا مصدّقا ومُتمما ومكمّلا للوحي السابق عليها، وللمعرفة البشرية قديمها وحديثها. فأصول العقائد الدينية واحدة، حيث أظهر الله هذه الهدايات بالهيمنة والتصديق، دون إنكار أو إلغاء، كما جاء في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفتح: ٢٨).

إن البعد العقائدي للتواصل الإنساني يكمن في عقيدة التوحيد، التي تقوم على ركيزتين أساسيتين: وحدة الألوهية التي ينفرد بها الخالق سبحانه، ووحدة العبودية التي يشترك فيها الناس جميعاً،

والتوحيد هو المضمون العقدي المركزي الثابت، الجامع بين جميع الشرائع والديانات التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين في إيمان واحد بوحدة الله وعبادته.

وبالتالي، تسعى الهدايات القرآنية للحفاظ على هذا المشترك

الديني وتعزيزه، من خلال خطاب يعترف بالآخر المخالف دينياً، ويمد له يد التعارف والتعاون والتآخي؛ بحيث يسمح هذا النهج لأتباع جميع الرسائل السماوية بالتعاون في بناء المشترك الإنساني والحفاظ على التنوع الطبيعي والثقافي.

من أجل أداء مهمة الاستخلاف في الأرض، وليكون التنوع مصدرا لبعث روح التنافس بينهم، في ميادين الإبداع والارتقاء الحضاري، وليحول دون تعطيل أو تخلف أسباب الأداء والإبداع والارتقاء في ميادين عمارة الأرض، [١]وليكون هذا التنوع كذلك سببا لقيام قاعدة الحاجة والضرورة بين الناس والمجتمعات، فلا تستطيع الأفراد والمجتمعات الاستغناء عن بعضها البعض، بحيث تكون الحاجة بينهم سببا لحياة مشتركة، يسوسها نظام عالمي مشترك.[٢]

وقد أكد الرسول ﷺ هذا المشترك التوحيدي بقوله: "إنا معشر الأنبياء ديننا واحد، وأنا أولى الناس بابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي " [٣]

وقوله عليه الصلاة والسلام: "الأنبياء أخوة لعَلاَّت دينُهم واحد وأمهاتهُم شتى".[٤] فإذا اختلفت الشرائع باختلاف الأمم والحقب بمقتضى قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨)،

فالمشترك التوحيدي يجمعها وينتظمها في سلك الدين الواحد الجامع، وهو الذي سماه ابن تيمية الإسلام العام [٥]. وهذا واضح ومطرد في دعوات الأنبياء

---

(١) الوسطية مرتكز لحوار الثقافات لتحقيق المشترك الإنساني، أحمد الرفاعي، ضمن الوسطية أبعاد في التراث والمعاصرة، الأردن: منتدى الفكر العربي الأول، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٨٢.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، كتاب التفسير، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها. حديث رقم ٣٤٤٢، ٦/ ١٥٣٠

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، حديث رقم ٣٤٤٣، ١٥٣١/٦.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تقي الدين أحمد ابن تيمية، مطابع المجد التجارية، الرياض، د.ت، ج ٤، ص٣٣.

والرسل التي تواليت على الإنسانية، فقد كان شعارها الإسلام وقضيتها الأولى التوحيد.

٢,٢. وحدة أصل الإنسانية:

إن الإنسانية تظهر بتنوع الألسنة والأعراق والألوان، ولكنها ترجع إلى أصل واحد، وهو النفس التي انبثقت منها جميع الفروع الإنسانية بعلاقة قوية وثابتة، تنبع من الأصل المشترك، وهي علاقة الرحم الإنسانية بغض النظر عن الدين أو العرق أو اللون أو الحضارة. وقد أرجع الطاهر ابن عاشور السبب في وحدة أصل النوع إلى أن: " كل إنسان إذا لفت ذهنه إلى وجوده علم أنه وجود مسبوق بوجود أصل له بما يشاهد من نشأة الأبناء عن الآباء، فيوقن أن لهذا النوع أصلاً أول ينتهي نشوءه".(١)

قال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات: ١٣).وقال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (النساء: ١).

أظهرت الآيتان وحدة الجنس الإنساني والأصل الواحد الذي نشأت منه قبائل الأرض وشعوبها، وأشارتا إلى أن هذا التنوع والاختلاف لهما هدف وغاية تكمن في التعارف والتعايش والتسامح بين شعوب الأرض وأممها.

ويعالج هذا الخطاب القرآني الشامل القواسم المشتركة بين الشعوب من خلال مواجهة مشكلة قديمة ومستجدة في عالمنا، وهي أن تباينها يمكن أن يؤدي إلى الصراع والاحتكام إلى العنف، سواء كان ذلك بسبب العرق أو اللون أو الدين أو الانتماء الإقليمي. وهذا المعنى هو ما أكدّه الرسول الكريم ﷺ بقوله: "يَا

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط٢، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٩٥.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ "، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ» :فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.(١)

وتأسيساً على ما سبق، يمكن القول إن منهج الهدي القرآني أسس لنظرة قيمية ترمي إلى تفهم وتصالح المجتمعات الإنسانية وتعاونها من خلال رفض أي تصنيف عنصري يستند إلى اللون أو العرق أو النسب، كما أرجع هذا التباين إلى التعاون والتكامل بدلا من الصراع والعداء. فالاختلاف، بحسب المنهج القرآني، وبحسب هدفه، لا ينبغي أن يكون سببًا للصراع والعداء أو الاقتتال والتعدي، بل ينبغي أن يكون دافعًا للتفاهم والتعاون والتكامل.

٣,٢. الأساس الإستيعابي المنفتح:

تُمثّل الهدايات القرآنية منارة تُنير دروب الإنسانية بقيم إنسانية سامية، تُشكل أساسًا لِبناء مجتمع عالمي يُعزّز السلام والعدالة والوئام بين جميع أفراده. وتتجلى استيعابية وشمولية هذه الهداية في قدرتها على مخاطبة جميع البشر في مختلف الأزمنة والأمكنة، مع مراعاة خصوصياتهم واحتياجاتهم. فمن مبادئها الاعتراف بالرسالات السماوية السابقة ونبوة أنبيائها، مع اعتبار الإسلام استكمالا لتلك الرسالات وخاتما لها. ولم تنكر أيّ رسالة سماوية بل أقرتها، ولم تلغ شرائع الكتب السابقة بل أخذَت منها ما يتفق مع الفطرة والحكمة، مشددة على وحدة المنبع الإلهي لتلك الشرائع، وعلى دعوة أهل الكتاب للاعتراف بتوحيد الله والقيم الأخلاقية المشتركة،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، رقم (٢٣٤٨٩) من حديث أبي نضرة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ٢٠٠٨م، 38/474.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقوله سبحانه تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ (الشورى: ١٣).

هذه المنهجية تؤسس للمبدأ الانفتاحي على الثقافات والحضارات الأرضية الأخرى غير المنغلقة، القادر على التأثير والتأثر الايجابي، وعلى أخذ المفيد والنافع؛ فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، فالأمة المسلمة لا تخشى الذوبان في الآخر؛ كونها تمتلك رصيداً حضارياً توحيدياً تستطيع من خلاله الأخذ والعطاء،[١].

و " المبادرة للتفاعل مع الآخر بثقة بالقدرة على هذا التفاعل الحضاري، على أساس من النِّدّية، وبرغبة في تبادل العطاء والأخذ الحضاري، انطلاقا من معرفة جوانب قوته وضعفه، ومن الإدراك بأن عصر العولمة يفتح آفاقا رحبة للتفاعل على مختلف الصّعد، ومن وعي المرحلة التي تعيشها اليوم حضارة الغرب بخاصة "،[٢] وهذا يقتضي الثبات على المبدأ الحق، ومعرفة آليات وحدود الانفتاح. قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾. (الممتحنة: ٨)

وبناء عليه تمثّل شمولية وانفتاحية منهج الهدايات القرآنية نموذجا فريدا يؤكّد على مبدأ المشتركات الإنسانية، ويساهم في بناء مجتمع عالمي يجسد ويعزز القيم الإنسانية من سلام وعدالة ووئام بين جميع أفراده.

٤,٢. الأساس الحواري التواصلي:

---

(١) ضوابط الوسطية، محمد بن دودو، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص٥٨.

(٢) مقاربة قضية التعريب في ضوء سنن التفاعل الحضاري أحمد صدقي الدجاني، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد: ٨٤، محرم ١٤٢٠هـ / مايو ١٩٩٩م، ص ١٥.

إن التواصل والحوار والإقناع والمحاججة ينبغي أن تقوم على أرضية من احترام الآخر وعدم التصغير من شأنه، ومما يُستلهم من المعين القرآني في مجال أدب التواصل مع المخالفين، قوله سبحانه تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة سبأ: ٢٤)

ومن مظاهر البُعد الحواري في القرآن التأكيد على "الكلمة "سواء" كأساس لقبول الآخر والتعايش معه، دون تمييز أو إكراه؛ كونها تلغي ثنائيات القاهر والمقهور أو المستضعف والمستكبر، وتؤسس لمساواة إنسانية على أساس الآدمية المشتركة.[1] قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٦٤)، ويرى عبد العزيز التويجري أن الكلمة "سواء" تعد منهجا لإدارة الاختلافات، من خلال التركيز على القواسم المشتركة والمصالح العليا للبشرية التي تتوافق مع مقاصد الشرائع السماوية في المحافظة على كرامة الإنسان وحقوقه؛ مما يفتح مجالاً واسعاً للتفاعل الإيجابي والتفاهم والحوار بين المجتمعات والحضارات[2]

وبناء عليه فإن الحوار منهج يُكوّن أرضية أخلاقية لبناء مشترك إنساني شامل، يقوم على مبادئ الوحدة الإنسانية والتسامح والتعايش ونبذ التعصب والعنف.

٥,٢. الأساس الوسطي:

تعد الوسطية الأرضية الفكرية والمنهجية للمفاهيم الإسلامية التي تحكم الفكر والسلوك؛ فلا يمكن للإنسان العيش بسلام في تناقض داخلي بين

---

(١) عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بوطالب، مجلة الاجتهاد، لبنان، مج ٢٠٠٢م، عدد: ٥٢- ٥٣، ص ٦٢-٦٣

(٢) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٩٤-٩٥.

جوانبه المختلفة، وبين القيم الدينية ومتطلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومن أهم معاني الوسطية هو الالتزام بالفضيلة

التي تتوسط بين رذيلتين، كما هو الحال مع الجود الذي يكون

وسطًا بين البخل والإسراف، والشجاعة التي تكون وسطًا بين الجبن والتهور. بالإضافة إلى ذلك تشمل الوسطية العدل والقسط والإنصاف في التعامل مع الآخرين، وتقف ضد كل أشكال الظلم والتطرف والغلو والتشدد والتعصب الفكري والإيديولوجي والفلسفي والديني وغيره. مصداقا للحديث النبوي: " الظلم ظلمات يوم "القيامة."[١]

كما تعد الوسطية وصف للأمة القرآنية الشاهدة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (البقرة: ١٤٣)،

قال ابن كثير في تفسيره: لنجعلكم خيار الأمم، ولتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط هذا الخيار والأجود ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب.."[٢] قال الطبري: "إنما وصفهم بأنهم وسط ؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غالوا بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه – ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به – ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه".[٣]

وهذه الوسطية التي عبر عنها الحديث النبوي:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم الحديث: ٢٣١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ١/ ٤٥٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يُسر، رقم الحديث: ٣٩. ١/٣٠.

" إن الدِّين يُسر ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدّلجة" .[1]

فالوسطية؛ تيسير وتسديد وتقريب وتبشير واختيار أعدل المواقف والأوقات، كما أن من معاني الوسطية الجمع في الرؤية بين موضوع الإنسان وموضوع الكون، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والجماعة، وبين الذات والآخر، وبين الحاضر والمستقبل،

فيكون الإنسان بمنهج الوسطية محور حركة الخلائق في أداء مهمة عمارة الأرض، وإقامة الحياة الآمنة في ربوعها... وتبقى قدسية حياة الإنسان وكرامته، وسلامة البيئة، والعدل، والتنمية الراشدة، هي المعايير التي يحتكم إليها في صحة الأداء الحضاري في الأرض وسلامته".[2]

مما يشير إلى أهمية وضرورة التوازن والوسطية في العبادة والتعامل مع الآخرين من أجل تحقيق الحياة المشتركة والسلام في المجتمعات.

٦,٢. أساس العالمية:

العالمية القرآنية تجمع بين عالمية الكتاب، وختم النبوة، وعالمية الخطاب. فالقرآن الكريم هو كتاب يتسم بالعالمية، حيث يصدق الكتب السماوية السابقة ويسيطر عليها. يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨) ، فالقرآن لا يلغي السابق ولا يقاطعه ولا يتعارض معه، بل يتممه ويصححه ويضيف إليه. هذه العالمية المصدقة والمهيمنة تتجاوز التناقضات الثنائية مثل الإسلام والغرب، والدين

---

[1] جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر الطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢ م، ١٤١/٣.

[2] الوسطية مرتكز لحوار الثقافات لتحقيق المشترك الإنساني، أحمد الرفاعي، ضمن الوسطية أبعاد في التراث والمعاصرة، منتدى الفكر العربي، الأردن، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٧٩.

والدولة، والأصالة والمعاصرة، وتتسع لاحتضان جميع التعدديات الدينية والثقافية.أما ختم النبوة فإنه ختم توحيدي مصدقاً ومهيمناً ومتمماً، فقد قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، لذا فالمسلمون هم جميع من آمن بالرسالات السابقة وبالرسل السابقين الذين ختمت رسالاتهم بسيدنا محمد ﷺ ، ولا يفرقون بين أي منهم. كون الهدف الأعظم لجميع الأنبياء هو توحيد الله وإقامة العمران الإنساني.(١)

أما فيما يتعلق بالتوجه إلى العالم، فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ٢٥٨)، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨)،

فالخطاب القرآني هو خطاب موجه للعالمين بغض النظر عن انتماءات الناس الجغرافية والثقافية والعرقية. ويؤكد الهدي القرآني على وحدة المؤمنين حول الإيمان المشترك، بغض النظر عن العرق أو القبيلة، من خلال صيغ جامعة مثل: "يا أيها الناس"، "يا أيها الإنسان"، "يا بني آدم". إنه خطاب لا يقتصر على قومية معينة أو عرق معين أو نحلة معينة أو رجل دين معين.(٢)

وتأسيساً على سبق، يمكن القول إن العالمية الإنسانية ذات المرجعية القرآنية تمثل عالمية رحمة، إذ العالم اليوم في حاجة إلى عالمية تشمل كل إمكانات التعارف والتعايش والتعاون بين المسلمين وغيرهم، وتصحح المفاسد الناتجة عن العولمة السائدة التي تفرض نظرة أحادية وقيماً إقليمية متحيزة.

إن تطبيق هذه العالمية يعني بناء عالم جديد قائم على قيم المشترك الإنساني

(١) عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بوطالب، ص٥٧.

(٢) نفس المرجع، ص٣٠.

بدلاً من الصدام الحضاري، إذ يجب أن يكون الحديث عن قيم مشتركة أو عالمية أو إنسانية يحترم الاختلاف والتباين والتنافس، ويعترف بأن هناك حضارات متعددة وليست حضارة واحدة نسخت الحضارات السابقة عليها.

٣. الأبعاد المقاصدية في بناء القيم الإنسانية المشتركة:

مصطلح "المقصد" يأتي من الفعل "قصد"، الذي يعني الاستقامة والسير نحو شيء معين، وتحديد الهدف ،والغاية بشكل واضح.[١] ومن الناحية الأصولية، يعتبر علم المقاصد جزءًا من علوم الشريعة النظرية، إذ ينقسم عادة إلى ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى تتعلق بفهم الغرض والتأصيل، والمرحلة الثانية تركز على التفصيل والتوضيح، والمرحلة الثالثة تتعلق بالتطبيق الفعلي وتحديد الحدود والمسائل العملية.

بعد الثورة العلمية التي أحدثها كتاب "الموافقات" للإمام الشاطبي، زاد الاهتمام بفهم وتطبيق مقاصد الشريعة. وعلى الرغم من التنافس والجهد المبذول من قبل العلماء والباحثين في تطوير هذا المجال،

إلا أنني سأقتصر هنا على تقديم تعريف واحد لمفهوم المقاصد بأنها " هي العلم بالمعاني والحكم التي أرادها الله تعالى من خلال التشريعات عموما وخصوصا، لتحقيق عبوديته وإصلاح العباد في المعاش والمعاد تأصيلاً وتحصيلا"[٢]،

وعلى الرغم من إشارة هذا التعريف بشكل خاص إلى مقاصد الشريعة، إلا أنه يمكن ربطه بمقاصد القرآن أيضا، حيث يعتبر القرآن أول مصدر للتشريع وجزءاً أساسياً من موضوعاته. وبالتالي، يمكن تعديل التعريف السابق ليشمل مقاصد

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، محقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م، (٥/٩٥)

(٢) الطريق القاصد إلى علم المقاصد، سليمان الرحيلي، دار الميراث النبوي، الجزائر، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص٣٢.

القرآن أيضاً، ليصبح معناها العلم بالمعاني والحكم التي أرادها الله تعالى من خلال إنزال القرآن، لتحقيق العبودية له وإصلاح العباد في المعاش والمعاد تأصيلاً وتحصيلاً، أو كما ورد في تعريف

بعض الباحثين: " مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد".(١)

إن حرص العلماء على بيان مراد الله عز وجل في هدايات القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية يؤكد اتفاقهم على حضور البعد المقاصدي.

وقد تمثل هذا الحضور فيما جاءت به هذه الهدايات من مضامين، أو في العمل والحكم والمعاني المستنبطة منه، أو في المقاصد الكلية والعليا والعامة التي يمكن تحصيلها من مجموع أدلة الخطاب القرآني أو مجموع المعاني والحكم والعلل. ولكن آراء العلماء قد تنوعت في طريقة تصنيف هذه المقاصد وترتيبها (أصلية وتبعية عامة وخاصة كلية وجزئية عالية وقريبة إلخ)، وبيان علاقتها بمضامين الهدايات القرآنية.

تُعدّ الهدايات القرآنية مصدراً أساسياً للقيم والمبادئ الإنسانية النبيلة، وتتجلّى أهمية أبعادها المقاصدية في كونها تشكّل أسساً لبناء قيم إنسانية مشتركة. وتسهم في تأصيل قيم عالمية تجمع البشرية. وإن تجلية الحِكم والغايات من كل ما جاءت به هذه الهدايات، يكشف عن مصالح الإنسان وتقرير ما فيه فائدته ونفعه في معالجة القضايا الإنسانية، وإثبات فاعلية هذه المصالح.

١,٣. تحقيق الإصلاح ودرء المفاسد:

مبدأ الإصلاح ودرء المفاسد يعتبر جوهرياً في الرسالات الإلهية، إذ يندرج ضمن هذا المبدأ الدعوة إلى الخير والصلاح، والتحذير من الشر والفساد. يُشير

(١) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم لبنان ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ط١، ص ٢٩.

هذا المبدأ إلى الجهود الرامية لتحقيق الصلاح والإصلاح في النفوس والمجتمعات، وتجنب الفساد والمفاسد التي قد تؤثر سلبا على الحياة الإنسانية، كما تظهر أهميته هذا في التنديد بأمم وشعوب مضت في العصور السالفة، مثل أمم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وأتباعه، الذين تجاوزوا الحدود في المعصية والفساد. كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ (الأعراف: ٥٦). وحمل حملة شديدة على المنافقين الذين يفسدون الاعتقاد ويفسدون في الأرض بالنفاق، وموالاة الكفار، وتفريق المؤمنين، فقال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ ﴾ (البقرة :١١-١٢).

تقوم الرسالات الإلهية، بما فيها الهدي القرآني، على دعوة الإنسانية إلى العمل الصالح وبناء الحياة على منهج الصلاح وسعادة البشرية.

يتضح أن الصلاح يشكل قاعدة أساسية في الرسالات الإلهية، وهو يعبر عن السلوك الصالح والحياة المبنية على الفضيلة والقيم السامية. ويتضح من خلال التفسير والفقه الإسلامي أن هذا المفهوم يشمل جميع جوانب الحياة، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية.[1]

تعتبر الشرائع الإلهية، بما فيها الشريعة الإسلامية، منهجاً لحياة الإنسان، يسعى من خلاله الفقهاء والمفسرون لتحقيق الصلاح والنفع للبشرية، ودرء المفاسد والمضار.

تؤكد الآيات القرآنية على ضرورة العمل بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الطريقة التي يُحقق بها الصلاح ويُدفع بها الفساد، لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

[1] مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، ص٧٦.

وينبغي للمؤمنين أن يكونوا أوصياء للخير والإصلاح في الأرض، وأن يعملوا على تحقيق المصالح ودرء المفاسد في مختلف جوانب الحياة.[1]

إذاً، يتضح أن الإصلاح ودرء المفاسد ليسا مجرد مبادئ نظرية، بل هما قواعد تحكم حياة الإنسان وتعاملاته في المجتمع، ويُعدّان منهجا لبناء حضارة إنسانية متقدمة تعمل على جلب الخير، والسعادة للجميع ودرء الشر والفساد.

٢,٣. تعزيز مبدأ التسامح والتعايش الإنساني:

يُعد التسامح أحد أركان الرؤية القيمية القرآنية وأحد ثمارها الأساسية في البناء القيمي للمشترك الإنساني؛ الذي يتغيا تنظيم العلاقة مع الآخر باستجلاء حقيقة قيمة التسامح والحضور المصلحي والنفعي لها؛ كونها قيمة حضارية لها دور بارز في مواجهة كل أشكال الغلو الفكري والتطرف والتعصب والعنصرية، بما تحققه من تجانس وتلاقح يجعل من البناء الحضاري والإنساني حقيقة مجسدة على أرض الواقع، تجسيداً للاستقرار، وفتحا للباب بمصرعيه لعلاقات دولية ذات أبعاد إنسانية بعيدا عن متاهة الحروب التي أنهكت العالم منذ زمن. وهي ضرورة حياتية تستهدفها جميع المجتمعات للتعايش والتعارف وتحقيق العمران واستكمال البناء الحضاري الإنساني.

وتتضمن قيمة التسامح معنى الاحترام والاعتراف بالاختلافات بين الأمم والقبول بها وتقدير التنوع الثقافي والانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى وتحقيق إنسانية الإنسان، والوحدة الإنسانية وإذابة الفوارق.

والتسامح قيمة متضمنة في كافة حقوق الإنسان في الإسلام وفي غيره من المواثيق والمبادئ، وبخاصة تلك التي تؤكد على المساواة فإن قبول هذا الحق يتطلب قدرا من المسامحة يضمن تحقيق هذا الحق، إذ تستند المساواة إلى محاربة العنصرية والتفرقة والتفاخر بالأنساب، وكلها أمراض اجتماعية مؤداها غياب

---

[1] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٨/٣.

التسامح في المجتمع إضافة إلى مبدأ الوحدة الإنسانية لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات: ١٣).(١)

وقد بين الهدي القرآني قيمة التسامح مع من تقتضي الأحوال مخالطتهم من أهل الملل الأخرى؛ تحقيقاً للأمن وللتعايش السلمي والتعاون الاجتماعي، انطلاقاً من أن الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام، وحده هو الدين الحق كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾ (آل عمران: ١٩)،

فمع أن سائر الديانات ليست على حق، فإن الإسلام انطلاقاً من موقف التسامح بتعايش معها وهذا لا يعني اقرارا بصحة معتقداتها فالدين الحق الذي لا يقبل الله غيره هو دين الإسلام ،(٢). كما تتحقق هذه القيمة من عدم أذية غير المسلمين بقول أو فعل، فمن المنهي عنه سب معتقداتهم أو الاستهزاء بما يدينون به درءا للمفسدة.. وفي هذا المقام يقول الطاهر ابن عاشور: "لم يحفظ التاريخ أن أمة سوت رعاياها المخالفين لها في دينها برعاياها الأصليين في شأن قوانين العدالة ونوال حظوظ الحياة بقاعدة لهم ما لنا وعليهم ما علينا مع تخويلهم البقاء على رسومهم على عادتهم مثل أمة المسلمين

فحقيق هذا الدين الذي نسميه التسامح بأن نسميه العظمة الإسلامية ".(٣)

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، مانع بن محمد المانع، دار الفضيلة، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ)، ص٢١.

(٢) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، هدايات سور رحمن، دار السلام، القاهرة، ط١، ص٦٥.

(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس، ط١، ١٤٣١هـ، ص٢١٩.

وتكريسا لمبادئ الرؤية القيمية القرآنية، فإن التعايش السلمي مع الآخر يعد أيضا ركيزة أساسية للوعي الحضاري، فهو يعكس تقدم المجتمع واستعداده لبناء حضارة متقدمة، تعزز ثقافة السلام في الإسلام، وقيم الاحترام المتبادل والتعاون والتضامن، وتمتين روح الأخوة الإنسانية. لذلك يحث الهدي القرآني على التعايش بين الديانات ويشجع على بناء علاقات سلمية لتحقيق التقدم والازدهار. ويعتبر العهد النبوي أفضل مثال على التعايش السلمي، حيث نجحت رؤية النبوة في استجلاب التعاون بين مختلف الأطياف الاجتماعية والثقافية؛ حيث تعتبر وثيقة المدينة أحسن دليل يمكن الاستشهاد به في هذا الباب، إذ تعد من أفضل النماذج في تاريخ البشرية للعيش الإنساني المشترك. في زمننا الحاضر المحتقن بالصراعات والحروب، نحن بحاجة ماسة إلى استلهام تراثنا الإسلامي لتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي، لبناء مستقبل يسوده السلام والتقدم.

٣,٣. تحقيق السلام الشامل العالمي

مبدأ السلام العالمي أصبح أحد أهم القيم التي تسعى البشرية لتحقيقها وتطبيقها في الحياة اليومية، نظرا للقيم الإنسانية العميقة التي يحملها، ويعتبر السلام سبيلا لإنهاء الحروب والصراعات التي تحمل في طياتها العديد من أشكال العنف والتطرف؛ مما يسهم في إيجاد حالة من الاستقرار العسكري والسياسي والاجتماعي، ويعد مفهوما منبثقا من الرؤية الأخلاقية القرآنية، الأمر الذي يجعله جزءا من ثقافتنا الإسلامية ومن الحراك الفكري العالمي. فالأمن والاستقرار يعتبران شرطا أساسيا لتحقيق السلام والتقدم الحضاري. وتعتبر الأمم الأمن والسلام أولوية؛ لأنها تسهم في بث قيم السلم والتسامح بين الأفراد والمجتمعات. ومن هنا، فإن السلام يعد مبدأً شرعيًا وضرورة حضارية،

حيث يعمل على بناء علاقات تعايش سلمي مبنية على العدل والحرية والمساواة، وفقا للرؤية القيمية القرآنية.

ومن هدي القرآن في صون السلم والأمن قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ (البقرة: ٢٠٨) ، ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠ ﴾ (النساء: ٩٠)، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الأنفال:٦١)

وقال: ومن هدي السنة النبوية قوله (صلى الله عليه وسلم): " أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية"[١]، فالإسلام دين السلام والأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم وليس الحرب، وذلك هو مضمون الإعلان القرآني بوجود سلم عالمي تندمج فيه الإنسانية كافة، وتتقدم الأمم، ويعم الرخاء، ويطمئن الناس قاطبة على ديارهم وممتلكاتهم ونفوسهم، والسلام الذي يدعو إليه الهدايات القرآنية أمران: تجنب الفساد (وهو الصراع والدمار) وجلب الصلاح والإصلاح (وهو الانسجام والتوازن، وتعميم الخير، والعمل المشترك).[٢]

إن السلام العالمي له مرتكزاته ودعائمه التي تحافظ على استمراريته وتعمل على منع انهياره.

ومع ذلك، هناك عوامل تهدد استقرار السلام بين الشعوب والدول، ويجب التعرف عليها والابتعاد عنها من أجل الحفاظ على مبدأ السلام ورأب الصدع الذي قد يحدث.

---

(١) صحيح البخاري، باب: لا تمنوا لقاء العدو، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم٢٨٦١، ج٣، ص١١٠١.

(٢) القيم بين الإسلام والغرب، مانع بن محمد المانع، دار الفضيلة، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ) ، ص ٢١٦.

٤,٣. ترسيخ المضامين الإنسانية للعدالة:

العدالة هي قيمة أساسية في النظرية القيمية القرآنية، تحمل في طياتها مفاهيم متعددة، ويمكن تعريف العدل بأنه إعطاء كل شخص حقه بالتساوي دون تحيز أو تفضيل، وتعتبر العدالة الركيزة الأساسية في تحديد العلاقات الإنسانية سواء في حال السلم أو الحرب. وتوزيع الحقوق وحمايتها، وتنظيم الوجود الإنساني.(١)

وإذا اختل ميزان العدالة، فإنها يؤدي إلى اختلال الوجود الإنساني وضياع فرص الإصلاح والتطور، لذا نعتبر العدالة هي المحدد الرئيسي للتواصل مع الآخر في مختلف الظروف والسياقات، وهنا تثبت معادلة ابن خلدون " الظلم مؤذن بخراب العمران"(٢)

فالظلم هو التعدي على حقوق الآخرين، بينما العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، وعندما ينتشر الظلم في المجتمع، يفقد الناس شعورهم بالأمان والثقة، مما يؤدي إلى تفكك المجتمع وتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية.

فلا يمكن للمجتمع أن يزدهر بدون العدل، الذي يُؤسّس لبيئة آمنة وعادلة تسمح للناس بتحقيق إمكاناتهم.

قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ (الشورى: ١٥).

إن العدل – باعتباره مقصداً كونياً وكلياً – هو ميزان الخلق

(١) القيم بين الإسلام والغرب، مانع بن محمد المانع، ص٢١٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٩م، ج١، ص٣٥٦.

أو التكوين، والأمر أو التشريع، ولا سبيل إلى حفظ العدل إلا بحفظ مادة الشرع وحكمة العقل، وهما ميزانان عند الله: الشرع من أمره والعقل من خلقه.

وفي تراث ابن تيمية معالم جليلة وتقريرات بديعة في شأن مقصد العدل، فقد قال: " العدل واجب على كل أحد في كل شيء"[١]

ما يكشف رسوخه في التحقيق والتأصيل ويظهر تفرّده لأعظم المقاصد وأشملها وأوسعها، لأنه نظام كل شيء، وبه يتم تحقيق التوحيد الذي هو حق لله على العبيد، وبه يتم استيفاء حقوق العباد، ودرء ما يكر عليهم بالعدوان أو الفساد.

لذلك فإن الحضارات والأمم التي تؤسس للعدل وتقيمه تبقى وتدوم ولو كانت غير مسلمة، كما أن الأمة إذا تخلت عن قيمة العدل ومعياره القويم فإنها تتلاشى وتزول ولو كانت مسلمة فالعدل أساس البقاء الحضارة وقمة الخلق الإنساني.[٢]

٥,٣. حماية الحرية الدينية:

تُعد الحرية من أسمى القيم الإنسانية وأكثرها تحقيقاً لمعنى الإنسانية التي ينشدها الإنسان اعترافا بأفضليته وكرامته

وتعرف بأنها: " عمل الإنسان ما يقدر عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره، بمعنى فعل الإنسان ما يريد فعله دون مدافع بمقدار إمكانه ".[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٣٤/٢٨.

(٢) ابن تيمية، نفس المصدر، ٢٨/ ١٤٦

(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ١٤٣١هـ، ص١٥٢.

وتعني كذلك: " أن يعبر الفرد عن أرائه وأفكاره بصرف النظر عن مدى توافقها مع آراء الآخرين ".[١]

وهي بذلك قيمة حضارية وحاجة إنسانية في كل الثقافات والمجتمعات يسعى كل فرد لتحقيقها، وتنقسم إلى حرية اعتقاد، وحرية تفكير، وحرية قول، وحرية فعل وكل هذه الحريات الأربع محدودة في نظام الاجتماع الإسلامي بما حددت به شريعة الإسلام أعمال الأمة الإسلامية في تصرفاتهم الفردية والجماعية.[٢]

وإذا غاب أفق الحرية الإنسانية ساد العدوان والطغيان والظلم والاستبداد، وتصير العلاقات السياسية والاجتماعية بين الأمم والشعوب يعلوها طابع التوتر واختلال التوازن وصراع الحضارات، وتسلط قوى الشر والأشرار على الضعفاء، فيكون من المفيد احترام حق الآخرين ومقاومة الطغيان.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

وتُؤسّس الهدايات القرآنية لقيمة الحرية الدينية وعدم إكراه أحد على اعتناق الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦). بل تركت حرية الاعتقاد للناس مع دعوتهم بالحسنى، ومراعاة التطور التاريخي وخصوصيات المجتمعات في التشريع،

بحسب استعدادها وظروفها، والعادات والتقاليد السائدة فيها، والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها، تاركة مجالاً واسعاً للاجتهاد في فهم نصوص الشريعة وتطبيقها بما يتناسب مع مقتضيات كلّ عصر، فضلاً عن تغليب المعاني والحكم على الألفاظ والصيغ، مما يمنح الشريعة الإسلامية

---

(١) القيم السلوكية، حمود عطا عقل، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ص٢٥٣.

(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص١٥٥.

المرونة والقدرة على الانسجام مع مختلف الأزمنة والأمكنة والثقافات وتجاوز العصبيات.[1]

ومنه يمكن القول: إن الحرية الدينية تُتيح للناس ممارسة شعائرهم الدينية بحرية دون خوف أو قلق، مما يساهم في حفظ الدين ونشره، كما تُؤدّي إلى الشعور بالأمان والاستقرار، مما يساهم في حفظ النفس ومنع العنف والاضطهاد، بالإضافة إلى التشجيع على التفكير والتأمل، فضلاً عن احترام خصوصية الأفراد وحماية أعراضهم من الاعتداء.

وإن حماية الحرية الدينية باعث إلى توفير بيئة عادلة ومتساوية للجميع دون تمييز ديني، مما يساعد في تعزيز العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع،

والتعايش السلمي بين أتباع الأديان المختلفة، إلى جانب نشر ثقافة التسامح والاحترام المتبادل،

وبذلك يعتبر الإسلام ديناً رحيماً يدعو إلى التسامح والاحترام، وحماية الحرية الدينية تعكس هذه الرحمة وتظهر الوجه الحقيقي للإسلام.

---

(١) مدخل إلى الشريعة الإسلامية، مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٥٦- ١٦٠.

الخاتمة

وأهم النتائج التي تضمنتها:

١- من خلال ما سبق نستشف أن هدايات القرآن أسست نظاماً قيمياً عالمياً لم يسبق لديانة من الديانات السماوية أن شهدت مثله، هذا النظام القائم على مراعاة مصالح الذات و مصالح الآخر بوجه من العدل والرحمة، مبرزة معالم عالمية الخطاب القرآني المبني على جعل الناس جسداً واحداً رغم اختلاف اللون والعرق والدين،

فعلى سبيل المثال لو تحقق السلم و التعايش والتسامح و العدل بيننا و بين الآخر، فكل هذه القيم ستقودنا إلى تمتين العلاقات مع الآخر مما ينعكس ذلك على جميع المستويات اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا، يساهم في اعمار الأرض بالفعل الحضاري ويساعد الإنسان على تأدية وظيفته الاستخلافية على أتم وجه وأكمل مقام.

٢- تعدّ هدايات القرآن الكريم المرجعية الأساسية في البناء القيمي للمشترك الإنساني، فهي وحي مؤيد ومكمل للرسالات السماوية السابقة. وقد جاءت لتظهر الدين الحق وتهيمن على سائر الأديان، لا لتلغيها أو تنكرها. فهي تحافظ على المشترك الديني من خلال خطاب يعترف بالآخر ويدعو إلى التعارف والتعاون بين أتباع الرسالات المختلفة.

٣- القيم الإنسانية القرآنية بكونها قيمًا عالمية تدعو إلى التسامح واحترام الاختلاف، تشكل أساسًا مشتركًا يمكن أن يبنى عليه المشروع الحضاري الإنساني.

٤- اعتنى القرآن الكريم بالتأسيس للمقاصد الجامعة التي تساعد على إعداد الأمة المؤهلة لأداء مهمتها الإنسانية، والقادرة على للتفاعل الإيجابي مع الشعوب والأمم، والمدركة للمساحات الواسعة التي يمكن أن تشكل ميادين مشتركة يلتقي عليها الجميع ويتعاون فيها الجميع.

٥- الأبعاد المقاصدية هي تحقيق مدلول الخير العام للأمة ورعاية المصالح الإنسانية، من ناحيتي الإيجاب والسلب، أو البناء وتجنب الهدم، ففي مجال الحرية تحقيق لظاهرة الطمأنينة وفقاً لمدلولات الرسالة السماوية وخاتمها الإسلام. في نطاق السلام العالمي وضماناته تنمو ظاهرة الحضارة والمدنية والعمران. وفي وحدة الانسانية: توفير للشعور الكريم بتساوي الأجناس والأعراق والأصول، من دون تمييز عرقي أو طبقي أو تفاوت اجتماعي أو طائفي.

وفي رعاية مقتضيات العدل والإنصاف ومنع الظلم في القضاء وغيره: إحساس بالراحة الكبرى، واحترام الأنظمة وتطبيقها، والبعد عن تعطيل القوانين، والتزام دائرة الحقوق، وأداء الواجبات، وفي الإصلاح ودرء الفساد: إشعار بظاهرة التحضر والبناء.

توصي الباحثة بما يأتي:

-بضرورة انخراط المسلمين في التحالفات الدولية والتكتلات الإنسانية التي تخدم مقاصد شرعية، أو تنتصر لقيم إنسانية، أو تدعو لفضائل أخلاقية، كالجمعيات والهيئات التي تدعو إلى محاربة الفقر والأمية والجريمة، وإلى مقاومة الاستبداد والفساد، وإلى نشر التوعية الأسرية، وإلى الحفاظ على البيئة وإلى منع الإجهاض والشذوذ الجنسي، وغيرها كثير من المجالات الإنسانية الفاعلة التي يمكن التعاون فيها.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الاسلام وبناء المجتمع السلامي، لحسن عبد الغني أبو غذة وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ٢٠٠٥م.
٢. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس، ط١، ١٤٣١هـ.
٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ١٤٣١هـ.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م.
٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط٢، ١٩٩٧م.
٦. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، هدايات سور رحمن، دار السلام، القاهرة، ط١، د.ت.
٧. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٨. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر الطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢ م
٩. الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٠. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تقي الدين أحمد ابن تيمية، مطابع المجد التجارية، الرياض، د.ت.

١١. الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٢. ضوابط الوسطية، محمد بن دودو، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
١٣. الطريق القاصد إلى علم المقاصد، سليمان الرحيلي، دار الميراث النبوي، الجزائر، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
١٤. عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، عبد الهادي بوطالب، مجلة الاجتهاد، لبنان، مج ٢٠٠٢م، عدد: ٥٢- ٥٣.
١٥. علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م.
١٦. القيم الإسلامية والتربية على خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨.
١٧. القيم السلوكية، حمود عطا عقل، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٨. القيم بين الإسلام والغرب، مانع بن محمد المانع، دار الفضيلة، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ).
١٩. المجتمع الإسلامي، منطلقاته وأهدافه، محمد تقي المدرسي، دار الحبل، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
٢٠. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢١. مدخل إلى الشريعة الإسلامية، مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٢. مدونة القيم في القرآن والسنة، محمد بالبشير الحسني، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ٢٠٠٨م.

٢٤. المشترك الإنساني تشريع الاهي، ربيعة سحنون، مجلة إيقاظ مجلد١، عدد ١ أبريل، ٢٠٢٠م.

٢٥. المشترك الإنساني في الرؤية القرآنية، لمقدم أحمد آيت، أعمال الندوة العلمية الدولية القرآن الكريم ورؤية العالم – مسارات التفكير والتدبير، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط١، ٢٠١٤م.

٢٦. المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين، بدران بن لحسن، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج١٣، عدد١، جوان ٢٠٢٢م.

٢٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، محقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م.

٢٨. مقاربة قضية التعريب في ضوء سنن التفاعل الحضاري أحمد صدقي الدجاني، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد: ٨٤، محرم ١٤٢٠هـ / مايو ١٩٩٩م.

٢٩. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٠. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٩م.

٣١. المنهج القرآني في بناء المشترك الانساني، محماد بن محمد رفيع، مجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة عشرة، العدد٦٦، خريف١٤٣٢/ ٢٠١١م،

٣٢. الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
٣٣. الوسطية مرتكز لحوار الثقافات لتحقيق المشترك الإنساني أحمد الرفاعي، ضمن الوسطية أبعاد في التراث والمعاصرة، الأردن: منتدى الفكر العربي الأول، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٣٤. الوسطية مرتكز لحوار الثقافات لتحقيق المشترك الإنساني، أحمد الرفاعي، ضمن الوسطية أبعاد في التراث والمعاصرة، منتدى الفكر العربي، الأردن، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).